سرايا دولة الرسول(ص) واثرها الاقتصادي والاجتماعي في تثبيت حدود الدولة

أ.د. زمان عبيد وناس
كلية التربية للعلوم الانسانية– جامعة كربلاء

الباحث: م .م عائد عبد ايوب حميد
كلية التربية للعلوم الانسانية– جامعة كربلاء

الكلمات المفتاحية: اقتصاد، اثر اجتماعي، دولة الرسول، حدود الدولة.

الملخص :

منذ الوهلة الأولى التي دخل فيها الرسول محمد صلى الله عليه واله إلى يثرب كان هدفه انشاء دولة قوية متماسكة، إذ أن جميع الظروف ملائمة من الأرض، والشعب، ووضع اقتصادي مستقل يمكن الاعتماد عليه في الاكتفاء الذاتي لاسيما الجانب الزراعي.

فجاءت خطته الاولى، وهي تجريد المجتمع الجديد من جميع ما له صلة بالماضي من العلاقات الاجتماعية أو ما يذكره به، فعمد إلى تغيير اسم يثرب إلى المدينة ، وأطلق على المسلمين من الاوس والخزرج الانصار، اما الذين جاءوا من مكة سموا بالمهاجرين، فكان الكل يطلق عليهم الامة الإسلامية .

ثم قام النبي محمد صلى الله عليه واله ببناء المسجد الذي وَحَّد قلوبهم، وذوَّب الفوارق الطبقية وروح العصبية القبلية القديمة بين الاوس والخزرج، وقتل روح التعالي عند المهاجرين من قريش الذين انتسبوا إلى علية القوم في بلادهم، وربط الناس بالمبدأ الجديد على وفق أحكام جديدة تقوم على العقيدة والأخوة، لا على رابطة الدم والقرابة او الاثرة بالأموال والتنازع الطبقي، مما احدث تغيرا جذريا في حياة المجتمع، هذه دلالة كبيرة على قدرة الإسلام، إذ قال تعالى(صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً)[1] .

سرايا دولة الرسول واثرها الاقتصادي والاجتماعي في تثبيت حدود الدولة:

ثمة أسلوب اخر للتعامل مع التأثيرات الخارجية التي اتبعتها طبقة الملا-بعد ان قيد المسلمون حركتهم التجارية في المدينة- فأتجهوا نحو القبائل المحيطة بالمدينة، من اجل تسير قوافلهم التجارية بأمان واستقرار، واستطاعوا كسب ودهم وعقد عهود معهم وما زال الحصار الاقتصادي مفروضاً على المجتمع المدني إلا انه لم يؤثر كثيراً عليهم كما وضحنا سابقا، ومن جانب آخر أشاعوا إن المسلمين ضعفاء وقد هربوا من سطوتهم وأملاكهم تحت

تصرفهم[2] –فصادروها- وهذا الامر أخذ صداه بين الأقوام المجاورة، لكن الرسول من جهته كان مشغولاً في تنظيم المجتمع داخليا في الاشهر الأولى من الهجرة، وعندما حقق نتائج ملموسة على أرض الواقع، اصبح لزوماً أن يُشعر أعدائه بانهم اصبحوا كيان –دولة-مستقل يتالف من شعب وارض وايديولوجية وحدودها معلومة لا يمكن التجاوز عليها، فشرع عليه الصلاة والسلام بتسيير السرايا وكانت تحمل عدة اهداف اجتماعية وعسكرية سياسية واقتصادية.

1-تثبيت حدود الدولة

قام النبي محمد صلى الله عليه واله بتثبيت حدود دولته حتى يمارس المجتمع المدني بكل مكوناته اعماله الحياتية بحرية تامة ضمن بقعة معينة من الأرض[3]، إذ جعل من جهة القبلة جنوب المدينة جبل عير[4]، اما من جهة الشمال جبل ثور أصغر من جبل أحد وأمامه[5].

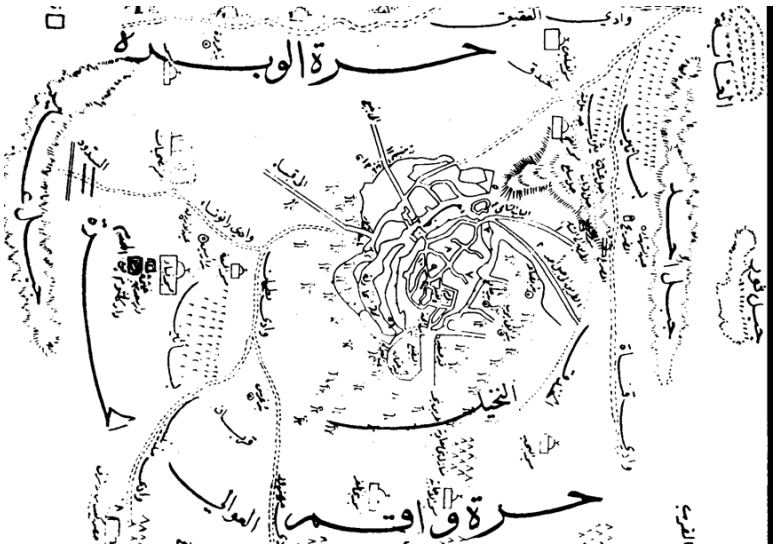

اما من جهة الشرق واقم[6] حرة والغرب حرة

الوبرة[7]، وتسمى لابتي[8] المدينة[9]، وبعد ذلك أخذ الرسول بتعين تلك الحدود بوضع علامات عليها توحي للأخرين أن هذه الأراضين تابعة للدولة الإسلامية، وربما كانت عبارة عن رايات أو علم الدولة مكتوب عليه لا اله إلا الله ومحمد رسول الله يوضع وبأعداد كثير على مرتفعات من الأرض وبمسافات ليس ببعيده بين علم وآخر، وقد يكون هذا العمل لم يسبق أحد إن قام به قبل الرسول محمد صلى الله عليه واله بتحديد معالم الدولة من ناحية حدودها الجغرافية ودلالة عن الفصل عن الشيئين والتميز عن غيرها من الحدود الفاصلة بين المجتمع المدني وباقي المجتمعات المجاورة لهم، وهذا ما استنتجناه من حديث كعبِ بنِ

مالكٍ[10]، اذ قالَ:"بعَثَني رسولُ اللهِ صلى الله عليه[واله] وسلم أُعلمُ على أَشرافِ حَرَمِ المدينةِ، فأَعلمتُ على شرفِ ذاتِ الجيشِ[11] وعلى مشترفٍ[12]، وعلى أشرافِ مخيضٍ[13]، وعلى الحيفاءِ،[14] وعلى السعيراءِ [العسيراء][15]، وعلى قلت[16]"[18].

وذكر ابن النجار[19] وفي هذا الصدد نفسه، اربعة اماكن اثنان منها تطابق مع ما ذكره المخلص وما تبقى لم تطابق وهما" وعلى أشراف المجتهر[20]، وعلى تيم[21]"، مفاد ما ورد إن الرسول اعتمد بتحديد المنطقة الإقليمية الخاصة بدولته على العامل الطبيعي، وهذا بحد ذاته انجاز ميداني كبير لا يمكن تجاهله ان معظم الأماكن مألوفة ومعرفة لكل من المجتمع المدني، ومن يجاوره، اضف إلى ذلك إنه أمر بوضع عليها ما يميزها ويشعر به كل فرد مرَ عليها، مما يجعل الجميع لديه علم بتلك الحدود الفاصلة من جراء ما يشاهده اذ كان لديه معرفة بالأمر يحاط بما يجب عليه فعله باحترام تلك الاجراءات وعدم التجاوز عليها فإن حصل العكس يكون عرضة للمسائلة القانونية التي اقرتها الدولة المحمدية، وإذا لم يعلم سوف يسائل وذلك من الأمر البديهي لأنه يشاهد شيئاً غريباً لم يكن سائداً في الحجاز وعن طريق ذلك يحاط علماً.

فإن هذه الحدود لم تكن نهائية وإنما تتوسع بمرور الزمن من حيث اتساع رقعة الدولة، وقد تكون الصورة أوضح من الأماكن التي تحركت عليها السرايا قبل معركة بدر، وما استمرار بعث السرايا لتحوم حول المدينة وفي كل مرة توسع من دائرة حركتها إلا خطة يقصد منها اتساع رقعة البلاد، واشعار الكل من صديق وعدوا إن هذه هي حدود البلاد.

2-تحريك القوات العسكري لحماية الحدود

بعد ذلك بدأت مرحلة التطبيق العملي، وربما إن الدولة الإسلامية أعلمت من يمر بأراضي مجتمعها –تجارة العبور- ولاسيما قريش لا يسمح لهم إلا بعد أخذ الموافقة منها، ومن البديهي إن قريشاً لم تمتنع بفعل عامل التجارة المصدر الوحيد لثروة ملأ مكة.

مما تقدم يتنينٌ إن الرسول اراد ان يجعل المرحلة القادمة هي تأسيس قوة عسكرية يمكنها المناورة والتصدي لكل من يحاول اختراق أرض الدولة، أو يعبث بأمنها، تحرك بأتجاهات مختلفة وأماكن متعددة ولاسيما المنطقة الغربية[22] على طول الحدود من الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي[23] والبعض من هذه الحركة كانت تحت قيادته[24]، ومجموع البعاث التي تحركت قبل بدر كان عديدها ثمان سرايا، لم يحصل فيها قتال باستثناء واحدة وبتصرف فردي، وقد وبخهم رسول الله صلى الله عليه واله وارجع ما غنموه[25] .

وكان من بين الاهداف لتحرك هذه القوات من غير إن تصطدم مع العدو يمكن إن نجمله بالاتي:

أ-فرض حصار اقتصادي شديد على النشاط التجارية للأهل مكة-الطبقة الملأ- المار في الأراضين الإسلامية، مما يؤدي إلى ضعف هذه الطبقة ماليا والتي همها الوحيد جمعه، وهذه أول ضربة يوجهها المسلمون إليهم، وقد حاولوا أن يجعلوا هذا الحصار هامشيا والبحث عن بديل[26]، إلا أانهم لم يتمكنوا من ذلك وفي نهاية المطاف تم جني الثمار هذا العمل واستسلام هذه الطبقة وفتح مكة سنة (8هـ/629م) بدون قتال[27] .

ب-تقوية أواصر التلاحم والمؤاخاة بين المقاتلين، إذ إنهم يبقون مدة ليس بقليلة مع بعضهم البعض يتشاركون الأكل والشرب والنوم وهم مجتمعين وهذا له أثر كبير في أنفسهم لتقرب والانسجام في ما بينهم، وهذا ما دفع الرسول محمد صلى الله عليه واله إلى التغير المستمر بين القائد والجنود في كل تحرك عسكري أو زيادة العدد.

ج-التحرك ضمن حدود الدولة ومعرفة طبيعة الأرض وكشف طرقها، ولاطلاع على احوال سكنة تلك المناطق والاحاطة بتوجهاتهم وميولهم ورسم سياسية الدولة إزاء ذلك اتجاههم.

د-تثبيت الحرم الخاص بالمدينة وأشعار الكل بذلك[28] ، وإذا لم تكن أرضهم كيف يحق لهم التحرك فيها.

هـ-تهيأت المسلمين لقتال ولاسيما المهاجرين وإعدادهم جيدا إذ إنهم لم يدخلوا حروباً، لمواجهة اي طارئ في المستقبل وهذا الأمر حتمي من قبل أعدائهم، عكس الأنصار الذين طحنتهم لفترات طويلة قبل الهجرة.

و- إظهار قوتهم للجميع[29] ولقم حجرا لكل من يتكلم على ضعفهم المعنوي والعسكري.

ز- كشف حقيقة الأمر لكل الناس بعد التظليل الذي قامت به قريش أزائهم، هذا الأمر شجع كثير من الناس باعتناق الدين الجديد، مما دفع القبائل القاطنة في أطراف المدينة من عقد اتفاقات شرف[30] وتعهدهم بجميع القوانين التي يقرها النبي محمد صلى الله عليه واله، يكون التعاون بين الطرفين أذ لتزمه الامر.

ح-فض جميع الاتفاقات الاقتصادية التي كانت بين قريش والقبائل التي تسكن داخل الخط الحدودي للدولة الاسلامية على انهم مجتمعها وتسري عليهم قوانينها التي تضمن لهم حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية.

ط-اشتراك المهاجرين دون الأنصار[31]؛ لتفرغهم للعمل وضمان الامن الاقتصادي للمجتمع، أن تحرك الدوريات المستمرة وتبقى الواحد منها مدة من الزمن وهذا يؤثر على الانتاج الزراعي إذ ذهب الأنصار معهم؛ مما يطلبه من كثرة الأيادي العاملة بهذا القطاع وأن لم تتوفر القوى العاملة سوف يحدث خلل وبتالي تتعرض الدولة الى أزمة اقتصادية.

ي-تفعيل الدور الجماعي بحماية الأرض، وزرع روح الحب للوطن ووجوب صيانته والانتماء اليه، مما يعطي حافزاً كبيراً في نفس الفرد والجماعة.

ثبت الهوامش :

1. البقرة، 138.
2. غلوش، السيرة النبوية، 239.
3. البيهقي، السنن الكبرى، 196/5؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 307/6؛ الطيبي، شرح الطيبي، 2050/6؛ عاشور، موسوعة الطير والحيوان، 28.
4. البكري، معجم ما استعجم، 984/3؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 77/1.
5. السمهودي، وفاء الوفاء، 77/1؛ عبد المنعم، معجم المصطلحات، 1/ 512.
6. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 249/2؛ شُرَّاب، المعالم الأثيرة، 100.
7. عاتق، معجم المعالم الجغرافية، 114؛ شُرَّاب، المعالم الأثيرة، 100.
8. لابتي: اللابة الحرة الارض الَّتِي كثر فيها الحجارة السُوداء. ابن سلام، غريب الحديث، 314/1.
9. ابن أبي شيبة، المصنف، 281/10؛ ابن الجارود، المنتقى، 135؛ النسفي، طلبة الطلبة، 21.
10. كعب بن مالك: بن عمرو بن القين الخزرجي، أحد شعراء الرسول وكناه بأبي عبد اللَّه، وشهد المشاهد كلها إلا بدرا وتبوك، وجرح في معركة احد، و توفي سنة (50ه). الصفدي الوافي بالوفيات، 256/24-257؛ الطيب، قلادة النحر، 356/1.
11. ذات الجيش: على طريق قوافل اهل مكة الخارجة منها باتجاه المدينة او الى بلاد الشام، بالقرب من العقيق. البكري، معجم ما استعجم، 410/2؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 82/1
12. مشترفٍ: المكان العالي واشرف الشي على الاخر، وربما المراد مشيرب جبل شمال ذات الجيش. ابن سيده، المحكم، 44/8؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 82/1-83؛ شراب، المعالم الأثيرة، 98. وورد عند ابن هشام المشترب ماء ببطحاء ابن أزهر وكان قد شرب منه النبي محمد صلى الله عليه واله في طريقة وهو ذاهب الى العشيرة. السيرة النبوية،599/1-598. مما يبدو ان الجميع متفقين انه يقع جنوب المدينة والمقصود مكان واحد الا ان المؤرخين قد اختلفوا بالفظ ومن المرجح يرجع ذلك للاختلاف اللهجات.
13. اشراف المخيض: يقع على الطريق القادم من بلاد الشام عبارة عن جبال واوديتها. السمهودي، وفاء الوفاء، 83/1.
14. الحيفاء: حيفاء او الحفياء مكان في الغابة في شمال المدينة. البكري، معجم ما استعجم، 1333/4؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 83/1، 61/4-65.

15. العسيراء: العسيرة او العسير او العشيرة حصن صغير ضمن ينبع بين مكة والمدينة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 127/4.

16. قلت: ربما المراد القلت مكان على طريق الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 386/4.

17. المخلص، المخلصيات، 169/1-170. واورده الذهبي بنفس الصيغة، تذكرة الحفاظ، 77/2.

18. الدرة الثمينة، 53.

19. المجتهر: لم تزودنا المصادر بمعلومات كافية عنها فقط اكتفت على انه مكان في المدينة ضمن حدودها وربما المراد به المخيض. السمهودي، وفاء الوفاء، 83/1؛ شراب، المعالم الأثيرة، 239.

20. تيم: جبل يقع شرق المدينة ومن حدودها. السمهودي، وفاء الوفاء، 40/4.

21. العمري، السيرة النبوية،2/ 345.

22. من خلال تتبع الاماكن التي وصلت اليها التحركات الاسلامية، فأنها ضمن الحدود التي ثبتها الرسول محمد صلى الله عليه واله، ولم تتجاوزها، وقد ذكر علي الاماكن التي وصل اليها المسلمين مع تعريفها. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،265/7.

23. كانت القوة التي يشارك فيها (رسول الله صلى الله عليه واله) تسمى غزوة، واذ بعث من ينوب عنه تعرف بـ:(السرية): أي التسرية، وسَرى القائدُ سرية، واسرها اكتمها، لا تقل عن خمسة افراد ولا تزيد عن خمس ماتة. ابن هشام، السيرة النبوية، 590/1-604؛ الصغاني، التكملة، 435/6.

24. سرية عبدالله بن جحش(3هـ). ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 601/1-604.

25. حاولوا ان يسلكوا طريق العراق على رغم بعده، مما يعكس تكلفة النقل على سعر البضائع، الا انهم مروا بغمرة وهي ضمن حدود المدينة على طريق نجد، فوصل خبرهم الى المسلمين الذين تمكنوا من احراز النصر عليهم وغنموا القافلة في سرية القردة سنة (3هـ/624م)، واصبح الامر اكثر حراجة بالنسبة للطبقة الارستقراطية المكي بعد ان استطاعت احدى سرايا المسلمين من اسر سيد اليمامة التي كانت ريفهم ولا يمكنهم الاستغناء عن ما يأتيهم منها من مؤن، الذي اسلم على ايدي رسول الله صلى الله عليه واله، وبعد ذلك ذهب الى مكة وقال لهم:" والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه[اله] وسلم" وما سمعوه نزل عليهم كصاعقة وتجرعوا المر بأرسال وفد يتفاوض مع رسول الله صلى الله عليه واله ويدعونه بصلة الرحم التي بينهم ان يسمح لحكام اليمامة بتصدير ما يحتاجونه منها. ابن هشام، السيرة النبوية، 638/2،50-639؛ البلدان، ابن

الفقيه، 84؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 59/5؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، 124/7.

26. ابن حزم، جوامع السيرة النبوية، 179-184.

27. ذكر سعد بن ابي وقاص ان النبي محمد صلى الله عليه واله قال له" اخرج يا سعد حتى تبلغ الخرار[واد يصب باالجحفة بالقرب من غدير خم] فإن عيراً لقريش ستمر به، فخرجت في عشرين رجلاً أو أحدٍ وعشرين على أقدامنا فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحناها صبح خمسٍ فنجد العير قد مرت بالأمس، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلى ألا أجاوز الخرار ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم. الواقدي، المغازي، 11/1؛ البكري، معجم ما استعجم، 492،510/2؛ البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، 112.

28. وقد وصفهم ابو جهل قائلا:" يا معشر قريش ان محمدا[صلى الله عليه واله] قد نزل يثرب، وأرسل طلائعه، وانما يريد ان يصيب منكم شيئا، فاحذروا ان تمروا طريقه، وان تقاربوه، فأنه كالأسد الضاري". الطبراني، المعجم الكبير، 123/2. وهنا شهادتان لشخص من الد أعداء الإسلام والرسول، انهم يمرون بطريق تابع للدولة الاسلامية اولا، وثانيا: وصفهم بصفات جميلة مع العلم لم يكن بينهم في هذه المدة اي مناوشات عسكرية بناءً على وصية الرسول للمسلمين، الا انهم تمكنوا من ادخال الرعب في قلوب طبقة الملأ.

29. الواقدي، المغازي، 12/1.

30. أرجع ابن طه سبب عدم مشاركتهم انهم تعهدوا بحماية الرسول داخل المدينة فقط، وإن المسلمين تعرضوا للقوافل قريش خارج حدود المدينة، إضافة إلى ذلك ما يقومون به هو أخذ بثائرهم بما وقع عليهم من اضطهاد ومصادرة أموالهم. الأغصان الندية، 157. مما تقدم لم يوافق العقل لسببين، أولاً: إن المسلمين لم يخرجوا من ضمن حدودهم الجغرافية وثانيا: لم يكونوا قطاع طرق ولا يتحمسوا لأجل الانتقام بسبب ما عانوا من زعماء قريش في مكة وإنما كانت قوافل قريش تخترق أراضيهم وهم لم يسمحوا بذلك، وأردوا إعلامهم بأمر وليس أكثر من ذلك.

The Prophet's Community Brigades And Their Social And Economic Affection In Fixing The State Boundaries

Prof. Dr. Zaman Obaid Wannas
University of Kerbalaʿ/College of Education for Human Science
dr.zamaan @hotmail.com

Aeid Abd Ayoub Hameed
University of Kerbalaʿ/ College of Education for Human Science

Key words : Economy, social impact, messenger state, state borders

Summary :

From the very first moment that the Messenger Muhammad, may God bless him and his family, entered Yathrib, his goal was to establish a strong and cohesive state, as all conditions are appropriate from the land, the people, and an independent economic situation that can be relied upon for self-sufficiency, especially the agricultural side. So his first plan came, which is to strip the new society of all social relations related to the past or what he reminds of it. Immigrants, everyone was called the Islamic nation.

Then the Prophet Muhammad, may God's prayers be upon him and his family, built the mosque that unified their hearts, dissolved class differences and the spirit of old tribal nervousness between Awas and Khazraj, and killed the spirit of transcendence among immigrants from the Quraysh who joined the upper class in their country, and linked people to the new principle according to new rulings based on Creed and brotherhood, not on the link of blood, kinship or affection with money and class strife, which caused a radical change in the life of society. This is a great indication of the power of Islam, as the Almighty said, "The color of God and whoever is better than God has a character ".